الغيرة المفتقدة

أبو الحسن بن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلة له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: الغيرة هي أرفع خصال الرجال مع أهليهم وأعراضهم، فيها تتجلى المحبة والود ربما تذكر الشهامة والقوامة، وعلى أساسها تنتشر الفضيلة ويسود العفاف.

والغيرة صفة من صفات الله جل وعلا، فهو يغار – كما يليق بجلاله سبحانه – على عباده من أن يعبدوا غيره، أو يطيعوا أحدًا سواه.

وهي أيضًا من صفة الأنبياء والمؤمنين، ومن النعوت التي لا تكتمل رجولة الرجال إلا بها في سائر الأعراف والملل.

عن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله إن وجدتُ رجلاً مع امرأتي، أمهله حتى آتي بأربعة شهداء؟

فقال النبي ﷺ: «نعم».

فقـــال: والـــذي بعثك بـــالحق، إن كنت لضربه بالسيف غير مصفح.

فقـــال النـــبي ﷺ: «أتعجبـــون من غـــيرة سـعد؟! لأنا أغـير منـه، والله أغـير مـني» [رواه البخاري ومسلم].

والناس في غيرتهم على الأعراض أصناف:

فمنهم من فهم الغـــيرة فهمًا ســـليمًا فحفظ بها قوامته، وصان بهم عرضه.

ومنهم من تطـــرف في فهمهـــا، حـــتى صارت في حقه بلاء، وهمًا.

ومنهم من تقـاعس عنها فعـرَّض عرضه للأخطار والأمراض.

فما هي الغيرة؟ وما نواقضها؟

* * * *

الغيرة المحمودة

الغـــــيرة على الأهل تعد من مفـــــردات الحب والمـــودة الزوجيـــة، وهي من أخص خصـــائص الشـــهامة والقوامة في الرجـــل، لـــذلك ما جـــاء الإســـلام إلا ليقر وجودها وفرضها ويتمم معانيها الجميلة.

فعن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله : «**إن الله يغـار، وإن المـؤمن يغـار، وإن غـيرة الله أن يـأتي المـؤمن ما حرم الله عليه**».

و**الغيرة المحمـودة:** هي ما كـانت من الرجل إذا ارتـــاب في أمر أهلـــه، بحيث لا تتسلط عليه الوساوس والأوهام، وإنما يبنى مواقفه وحفاظه على أهله بما شـــرعه الله جل وعلا، وأتى به العرف.

ومفردات الغيرة المحمـودة كثـيرة جـدًا، تكــون بمجملها قيم الفضــيلة، والحيطة من التهم، **وأهم مظاهر الغيرة:**

1- أن يصــــــون الرجل أهله من الاختلاط: وذلك بمنعها من الـــــذهاب إلى الأمــاكن المشــبوهة الــتي يخــاف عليها من

الضرر، فـإن كـان ولابد فمصـاحبتها إيـاه أو مع أحد محارمهـــا، فـــإن ذلك من تمـــام سلامتها وحفظها من مرضى القلوب.

يقـول الشـيخ محمد بن صـالح العـثيمين رحمه اللـه: (وأما اختلاط النسـاء بالرجـال ومزاحمتهن لهم فهذا موجـود في كثـير من محلات الـبيع والشـراء وهو خلاف الشـرع فلقد خـــرج النـــبي في المســـجد وقد اختلطت النســـاء مع الرجـــال في الطريق قـال للنسـاء: «**اسـتأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق عليكن بحافات الطريق**» فكـانت المـرأة تلصق بالجـدار حـتى إن ثوبها ليعلق به ولقد رغب النبي أمته عن اختلاط النساء بالرجال حتى في أماكن العبادة فقال : «**خير صـفوف النساء** – يعني: اللاتي يصلين مع الرجال – **آخرهـا، وشـرها أولها**». وإنما كـان آخر صـــفوفهن خـــيرًا لبعـــده عن الرجـــال، ومخالطتهم، ورؤيتهم لهن، ألم يكن في هذا أوضح دليل على محبة الشـرع لبعد المـرأة عن الرجــــــال واختلاط بهم) [نصـــــــائح وتوجيهات للنساء للشيخ العثيمين].

ومن تمــام الغــيرة في هــذا الشــأن أن يتحرى المسلم لأهله إذا خــرجت معه أو مع غــيره من المحــارم، أنظف الأمــاكن، فــإن كــان لشــراء الحاجيــات فــأنظف الســواق وهكذا.

فعن علي قــال: «بلغــني أن نســاءكم يزاحمن العلوج في الأســواق ألا تســتحون؟ ألا تغــارون؟ تــرك أحــدكم امرته تخــرج بين الرجال» [الزواجر عن اقتراف الكبائر].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن تمكين النســاء من اختلاطهن بالرجــال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نــزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فســاد أمــور العامة والخاصــة. واختلاط الرجــال بالنساء سبب لكثرة الفــواحش والزنــا، وهو من أســباب المــوت العــام والطــواعين المتصلة» [الطرق الحكمية ص325].

2- أن يلـــــزم أهله بالحجـــــاب الشــرعي أمــام الأجــانب: فــإن بســبب نزول آية الحجاب ومنها قوله تعــالى: **﴿وَإِذَا سَــأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْــأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** الآية، إنما نزلت بسبب غيرة

عمر إذ قـال: يا رسـول الله يـدخل عليك البر والفـاجر، فلو أمـرت أمهـات المؤمـنين بالحجـاب، فـأنزل الله آية الحجـاب» [رواه البخاري].

ولأن الحجاب ستر وطهارة وعفاف، فإن من الغيرة التي تجب على المسلم أن يلزم أهله بالحجـــاب كما أمر الله ســـبحانه فإنه مســـؤول أمـــام الله عنهـــا، وعن لباســـها وخروجها.

3- أن يحــذر من دخــول الأجــانب إلى بيته: وأما دخول الأجـانب مطلقًا فهو مما لا يتصـور وقوعه إلا مع امـرأة عاصـية، ويبقى الخطر قائمًا مع خلـــــوة المـــــرأة بالأجانب من أقربائها، وهذا هو الذي يفــوت بعض الرجال فيتساهلون فيه إحسـانًا للظن وإعمـــالاً لعـــادات تخـــالف ما شـــرعه الله سبحانه..

فعن عقبة بن عامر الجهني أن النـبي قال: «**إيـاكم والـدخول على النسـاء**» فقال رجل من الأنصـار: يا رسـول الله الله أفـرأيت الحمـو؟ قـال: «**الحمُو المـوت**» [رواه البخاري ومسلم].

والحمــو: هو قــريب الــزوج، وقد شــبهه الرســول ﷺ بــالموت، وفي ذلك دلالة بالغة الشدة في التحذير من دخـول الأجـانب إلى الـبيت، ولو كـان القــرين أخا الــزوج إذا لم يكن مع الزوجة محرم شرعي.

4- أن يحفظ أهله من شـــــبهات العصر ومن الفتن: فــــإن بعض الأزواج تجــــده أشد في غيرته على أهلـــــه، لكنه يناقض غيرته وحياءه إذ يــدخل إلى بيته من أسباب الفتنة العصـرية ما يـدفع أهله شـيئًا فشيئًا إلى الشبهات.

وتعد الفضـــائيات الأجنبيـــة، وكـــذلك الاختلاط بالخـــدم في الـــبيوت، والأغــاني الماجنة المسـموعة والمرئية من الأسـباب الــتي تلــوث صــفاء العفــاف في البنــات والزوجات.

وما ذكر الله لقصة امـــــرأة العزيز مع يوسف إلا ليتحــرص الرجــال على نســائهم من الخـدم ومن كل فتنة تسـتخف عقـولهم وتسـتدعي شـهوتهم. فقد قـال ﷺ: **«ما خلا رجل بـــــامرأة إلا وكـــــان ثالثهما الشيطان»**.

وعن معاذ بن جبل : أنه كان يأكل تفاحًا ومعه امرأته، فـدخل عليه غلام لـه، فناولته تفاحة قد أكلت منهــــا، فأوجعها ضـــــربًا» [روضة المحبين ص306].

ولله در القائل:

أغار عليك من نفسي ومني
ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أني خبأتك في عيوني
إلى يوم القيامة ما كفاني

وكان من شدة غيرة علي على فاطمة رضــي اللــه عنهــا أن غــار عليهــا من السواك، فقال في ذلك:

قد فزت يا عود الأراك
ما خفت يا عود الأراك أراك
لو كنت من أهل القتال
ما فاز مني يا سواك سواك

وقد سـئل شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل له زوجة أســـكنها بين نــــاس منـــاجيس وهو يخـــرج بها إلى الفـــرج وإلى أماكن الفساد، ويعاشر المفسدين، فـإذا قيل له: انتقل من هذا المسكن السوء فيقول: أنا زوجها، ولي الحكم في امرأتي، ولي السكن،

فهل له ذلك؟
فأجاب: الحمد لله رب العالمين: ليس له أن يسكنها حيث شـاء، ولا يخرجه إلى حيث شـــاء؛ بل يســـكن بها في مســـكن يصــلح لمثلهـا، ولا يخــرج بها عند أهل الفجــور، بل ليس له أن يعاشر الفجـــار على فجـــورهم، ومتى فعل ذلك وجب أن يعـاقب عقوبـتين: عقوبة على فجــــوره، بحسب ما فعــــل، وعقوبة على ترك صـيانة زوجتـه، وإخراجها إلى أمـــاكن الفجـــور، فيعـــاقب على ذلك عقوبة تردعه وأمثاله عن مثل ذلـــك، والله أعلم.

أخي الكريم: إننا أحوج ما نكون اليــوم إلى فقه الغـــيرة الشـــرعية، فـــالكثير من الناس يعملونها على غير حقيقتها.. يغــارون في أعمــالهم.. بينما ســلوكهم وتصــرفاتهم تجـاه أســرهم تنـبي عن تفريط ســافر في حراسة الفضيلة والغيرة على الأعراض.

إذا غابت الغـيرة.. غـابت القيم والمثـل.. ودب الفســـــاد والانحلال.. وانتشـــــرت الأمراض.. وتفككت المجتمعـات.. وضـاعت المعــاني الجميلة للعلاقة الزوجيــة.. الــتي

يغمرها التوحد بين الزوجين دون شريك.

ذكر حماد بن زيد عن أيــوب عن أبن أبي مليكـة: أن ابن عمر رضي الله عنهما سـمع امرأته تكلم رجلاً من وراء جدار، بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمــــر، فجمع لها جرائد ثم ضربها حتى اضبت حسيسًا» أي: صوتًا.

«وليست الغــــيرة تعــــني ســــوء الظن بـــالمرأة، والتفـــتيش عنها وراء كل جريمة دون ريبــة، ومــتى ما تحين الرجل الفــرص ليأخذ امرأته على غرة، التماسًا لعــثرة منها بــدون أي ريبة كـانت هـذه غـيرة مذمومـة، فعنه أنه قـال: **«إن من الغـيرة غـيرة يبغضها الله، وهي غـيرة الرجل على أهله من غــير ريبــة»** [عــودة الحجــاب 2/388].

قـــال رســـول الله : **«إيـــاكم والظن فـــإن الظنَّ أكـــذب الحـــديث»** [رواه البخاري ومسلم].

* * * *

من غيرة السلف

عن حماد بن سـلمة أن أبا السـيارة أُولع بـــامرأة أبي جنـــدب يراودها عن نفســـها، فقـالت: لا تفعـل؛ فـإن أبا جنـدب إن يعلم بهذا يقتلك، فأبى أن يـنزع، فكلمت أخا أبي جندب فكلمه فأبى أن ينزع، فأخبرت بـذلك أبا جندب، فقال أبو جندب: إني مخبر القوم أني أذهب إلى الإبـــل، فـــإذا أظلمت جئتُ فدخلت البيت، فإن جاءك فأدخليه عليَّ.

فـودع أبو جنـدب القـوم وأخـبرهم: إني ذاهب إلى الإبل.

فلما أظلم الليل جـاء فكمن في الـبيت، وجـاء أبو السـيارة، وهي تطحن في ظلِّهـا، فراودها عن نفسها، فقـالت: ويحـك! أرأيت هـذا الأمر الـذي تـدعوني إليـه، هل دعوتك إلى شيء منه قط؟ قال: لا، ولكن لا أصـبر عنك.

قالت: ادخل الـبيت حـتى أتهيأ لـك، فلما دخل البيت أغلق أبو جندب الباب، ثم أخـذه فدقه من عنقه إلى عجب ذنبـــه، فـــذهبت المـرأة إلى أخي أبي جنـدب فقـالت: أدرك

الرجـل؛ فـإن أبا جنـدب قاتلـه.فجعل أخـوه يناشــــده فتركــــه، وحمله أبو جنــــدب إلى مدرجة الإبل فألقاه. فكان إذا مرَّ به إنسـان قـال له ما شـأنك؟ فيقـول: وقعت من بكر [أي الفتى من الإبل] فحطمــني.. وبلغ عمر فأرسل إلى أبي جنــدب فــأخبره بــالأمر على وجهــــــه، فأرسل إلى أهل المــــــرأة فصدقوه، فجلد عمر أبا السيارة مائة جلدة، وأبطل ديته.

* وكان الزبـير من أغـير الصـحابة على نسـائه، فعن أسـماء بنت أبي بكر الصـديق رضي الله عنها قــالت: تزوجــني الزبــير ، وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شــيء غــير فرســه. قــالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوســـــه، وأدق النــــوى للناصـحة، وأعلفه وأسـقيه المـاء، وأخــرز عربـه، وأعجن ولم أكن أحسن أخـبز، كـان يخـبز لي جـارات من الأنصـار، وكن نسـوة صدق.

قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله على رأسـي، وهو على ثلثي فرسخ.

قـالت: فجئت يومًا والنـوى على رأسـي، فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصــحابه فـدعا لي، ثم قـال: أخ أخٍ»؛ ليحملـني خلفه فاسـتحييت أن أسـير مع الرجـال، وذكـرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس.

قـــالت: فعـــرف رســـول الله أني قد اســتحييت فمضــى، فجئت الزبــير فقلت: لقيــني رســول الله وعلى رأسي النــوى، ومعه نفر من أصــحابه، فأنـــاخ لأركب معه فاستحييت وعرفتُ غيرتكِ.

فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه.

قـالت: حـتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخـــادم، فكفـــاني سياسة الفـــرس، فكأنما أعتقني» [حياة الصحابة 2/691].

وقد رفع إلى عمر بن الخطـــــاب رجل قد قتل امرأته ومعها رجل آخر، فقال أولياء المــرأة هــذا قتل صــاحبتنا, وقــال أوليــاء الرجل: إنه قتل صاحبنا.

فقـــال عمر : ما يقـــول هـــؤلاء؟ قـــال: ضرب الآخر فَخِذَىْ امرأتي بالسيف.

فإن كان بينهما أحد فقد قتلته، فقال لهم

عمر: ما يقول؟ فقالوا: ضرب بسيفه فقطع فخذي المرأة فأصـاب وسط الرجل فقطعه باثنتين.

فقال عمر : إن عادوا فعد.

* * * *

خاتمة

أخي الكريم: إن الحجاب الذي هو تـاج العفاف والفضيلة، قد أوجبه الله على نساء المؤمــنين طهــارة لنفوســهن وأعراضــهن وصيانة للمسلمين من الفتنة.

ولو تأملت في سبب نزول آية الحجــاب، وهي أول آية نزلت بشـأن فرضـه، لوجـدت ســبب نزولها كلمــات من عمر قالها في سياق غيرته على نساء الرسول .

فعن أنس قــال: قــال عمر قلت: يا رسول الله، يدخل عليك الـبر والفـاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب» [رواه البخاري].

قال الشـيخ بكر أبو زيـد: «وهـذه إحـدى موافقـات الـوحي لأمـير المؤمـنين عمر بن الخطاب وهي من مناقبه العظيمة.

ولما نــزلت حجب النــبي نســاءه عن الرجال الأجـانب عنهن، وحجب المســلمون نساءهم على الرجال الأجانب عنهن، بســتر أبدانهن من الرأس إلى القـدمين، وسـتر ما عليها من الزينة المكتســـــــبة» [حراسة

الفضيلة 46].

ومقارنة بغـيرة السـلف على نسـائهم وبنـاتهم وأعراضـهم، تعد غـيرة الكثـير من النـاس في هـذه العصـور على النسـاء تفلة في بحـر، ولو كـان أهلها أحيـاء في عصـور السلف لما قلدوا وسام الغيرة أبدًا.

إن الغـــــيرة حرقة في القلب، ومراقبة للـــرب، وعزيمة على صـــيانة الشـــرف والعرض من أن يشـار إليه ببنـان.. أو يلوكه لســان.. أو تســرق النظر فيه عينــان.. أو يمسه إنســان.. وذلك يتطلب من الغيــور فقهًا بمنهج الله في القوامة على أهله ومراعاة أصله وعرفه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * *